الأهرام

المصدر : الاهـــــرام

التاريخ : ١٠ يولية ٢٠٠٠

بشار الأسد وثورته البيضاء (٢)

تعرضت خلال الأسابيع الثلاثة الماضية إلى العديد من التعليقات، كان البعض منها مغرضا ولست مهموما بالإشارة أو الرد عليه، والآخر كان موضوعيا ويسعدنى أن أوفيه حقه من التعقيب.

وأود أن أوضح بداية أننى كاتب ومحلل سياسى حر ولايمثل قلمى أية جريدة أو حزب، أو مذهب وإنما يعكس ذاتى، فضلا عن أننى لا أقبل أن يكون هناك قلم سياسى، وليس له موقف وقراءة للأحداث، ولايرد على السؤال الشائك: وماذا يعنى هذا الحدث وماهى انعكاساته على المستقبل، إضافة إلى ماتقدم فإننى أكتب لأن لدى رأى أود أن أقوله، ثم استغفر الله لى ولكم. ولعلى هنا لا أفاضل وإنما أفرق بين التقرير الصحفى والمقال السياسى فلكل منهما أدبياته وأصوله، إلا أن الكاتب السياسى يلزم أن يتعمق فى العرض استنادا إلى المتاح من المعلومات.

من هنا، فإننى أؤكد أننى أؤيد تولى بشار الأسد كخليفة لوالده الزعيم الخالد حافظ الأسد لأننى أحرص بشدة على أن يسود الاستقرار سوريا فى المرحلة الحرجة القادمة كهدف أساسى، واستنادا كذلك إلى مايلى:

١ ـ أننى أؤمن أن الهدف من الديمقراطية فى معناها الواسع هو أن تعكس الإرادة الشعبية، وتقديرى الشخصى أن ترشيح بشار الأسد فى هذه المرحلة تحديدا يحظى بتأييد الغالبية الشعبية، فهو يحظى بتأييد الشباب، وبدعم الحرس القديم، وبمباركة من يريد الاستقرار لسوريا، وأراضيها مازالت تحت الاحتلال، كما أنه يحظى بقبول من يرون أن مرحلة حكمه ستكون امتدادا لفترة حكم والده وليست انقلابا عليه، وأخيرا باعتبار أن البديل الفاعل لتولى الحكم لم يكن مطروحا أصلا فى هذه المرحلة.

٢ ـ أننى أشايع كمبدأ عام الدماء الجديدة التى تثرى وتقوى الجسد فى كافة الميادين سياسية كانت أو إدارية أو غيرها، فالجسد يحتاج إلى تنشيط طبيعى وليس بمقومات اصطناعية حتى يمكنه أن يحمل لواء التطوير والتحديث ـ وهو موقف قد عبرت عنه فى مجموعة مقالات نشرتها فى احدى الدوريات المصرية تحت عنوان: فلنرفع أيدينا عن مستقبل الشباب.

٣ ـ إضافة لهذا فقدت اعتبرت أن برنامج بشار الأسد الإصلاحى هو ثورته البيضاء التى سيبنى عليها خطابه السياسى وبرنامجه التنفيذى فى المرحلة المقبلة. ذلك أنه كان يعد إبان حكم والده لهذه المرحلة ومنذ فترة ليست بقصيرة، ومن ثم فإن ملامح المستقبل باتت واضحة فى ذهنه، وكان من الطبيعى أن يتولى هو بنفسه عملية الإحلال والتبديل والتطوير وهز الجهاز الإدارى وتحقيق المكاشفة والشفافية بين السلطة والشعب فى المرحلة القادمة والتى اعتبرها بداية الجمهورية الثانية لسوريا الأسد فى ظل حكم نجله بشار الأسد.

٤ـ أن حرصى على الاستقرار لا يأتى من منطلق تنظيرى، بل من واقع التحليل الجيوبوليتيكى والجيواستراتيجى للواقع الذى نعايشه فى هذه المنطقة، ومن منظور تحليلى للمصلحة السورية والمصرية والعربية. فقناعتى ـ والتى تترسخ يوما بعد يوم ـ أن منطقة المشرق العربى ـ أو ماكان الامتداد الإستراتيجي والمجال الحيوى لها، فعن طريق المشرق العربى يمكن لإسرائيل أن تحقق الأهداف الجيواستراتيجية والإستراتيجية التالية:ـ

● تهدف إسرائيل إلى تحقيق وسيلة لربطها بأوروبا جغرافيا وجيواقتصاديا، ولاشك أن هذه الفرضية لايمكن أن تتحقق عمليا إلا بالربط الجغرافى بينها وبين تركيا عبر الأردن وسوريا. ولعل البدء فى تنفيذ خط حديد الحجاز هو الدليل الحقيقى على صدق هذا المسعى.

● تعتبر إسرائيل منطقة الهلال الخصيب أكثر المناطق الإقليمية تكاملا من المنظور الاقتصادى والأمنى. فالتكامل فى إطار السوق الكبيرة MACRO ECONOMY يمكن تحقيقه فى هذه المنطقة إذا ماشملت السوق العراقية والسوق الخليجية، كما أن هذه المنطقة توفر عنصرين أساسيين لمتطلبات المرحلة القادمة وهما المياه ـ عن طريق تركيا ـ والأرض الصالحة للزراعة والمتوافرة فى هذه المنطقة وبالتحديد فى العراق بما سيمكن من اعتبار هذه المنطقة مزرعة منطقة الخليج القاحلة، إضافة إلى وجود مصادر الطاقة فيها بوفرة.

● علاوة على ماتقدم فإن ايجاد هيكل اقتصادى متكامل فى هذه المنطقة سوف يساعد على ايجاد مصالح اقتصادية حقيقية مشتركة تربط بين شعوب هذه المنطقة وتمهد لزوال الحساسيات السياسية ، وتحل محلها المنافع الحقيقية المشتركة ، بما يمهد لنواة تؤابط جيواستراتيجى على المدى الطويل. ولعل الرجوع إلى التاريخ يؤكد هذه الحقيقة إذ أن منطقة الشام ـ والتى تعتبر التجسيد الحقيقى لمنطقة الهلال الخصيب بالمفهوم السياسى ـ كانت من أغنى وأخصب المناطق فى العالم العربى حتى قبل اكتشاف البترول فى العراق، كما أنها كانت من أكثر المناطق العربية ترابطا وقوة، الأمر الذى استوجب تمزيقها فى اطار اتفاق سايكس بيكو حتى يمكن السيطرة على المنطقة العربية بصورة فاعلة، ومن ثم فإن ماتهدف إليه إسرائيل الآن هو إعادة بعث هذا الواقع من جديد على أن تحل هى محل فلسطين من حيث الموقع، وتقوم بمد نفوذها للسيطرة على مصالح هذه المنطقة واقعيا.

●إن الولايات المتحدة سوف تؤازر هذا التوجه، إذ أنه سيحقق بتناول جديد للموقف نظرية الاحتواء المزدوج DUAL CONTAINMENT التى تسعى إلى تحقيقها لدرء الخطر عن منطقة الخليج من أطماع العراق وإيران واللذين لهما مصالح مباشرة فى الامتداد نحو الخليج كهدف إستراتيجى لكليهما.

● إن إسرائيل يمكنها أن تستفيد من ضخامة هذه السوق ومن الأيدى العاملة المدربة والرخيصة للتوسع فى إنتاج وتصدير النظم المعلوماتية SOFT-WARE إلى الخارج أو إلى السوق المحلية الواسعة على مدى نصف القرن القادم على الأقل. كما وأنها يمكنها ، بمعاونة من الشركات المتعددة الجنسيات من ايجاد مصالح اقتصادية وإستثمارات عالمية فى هذه المنطقة بما يحقق إبعادها عن إطار الإقليمية، خاصة فى ظل تطبيقات مرحلة العولمة التى ستداهم دول العالم الثالث فى النصف الأول من هذا القرن .

● إن الوزن السياسى لإسرائيل سوف يمكن تفعيله فى هذه المنطقة بدون مخاطر كبيرة عليها، ذلك أن الوزن السياسى للعديد من الدول فى هذه المنطقة سوف يتدنى بعد الدخول فى مرحلة مابعد التسوية السلمية، فلبنان لن تصبح دولة فاصلة بين دولتين متحاربتين قويتين ، والأردن سوف ينتهى دورها كوسيط سلمى بين الفلسطينيين والإسرائيليين وفلسطين سوف تبدأ مرحلة جديدة من التعاون الإسرائيلى الفلسطينى. وسوف تتحدد موازين المعادلة الجديدة على أساس توافق الأوضاع والمصالح بين سوريا والعراق وتركيا وإسرائيل، والارتباط الاقتصادى والتقنى بين هذه المنطقة ومنطقة الخليج العربى من ناحية، وبالمنطقة الأوروبية عبر تركيا من ناحية أخرى، فإذا ماتحقق هذا الهدف فانه سيصير تكريس الموقف بالنسبة لمنطقتين تحديدا وهما منطقة المغرب ومنطقة حوض النيل بأسلوب الخصم وليس الإضافة .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

● إن إسرائيل قد حددت بوضوح مفهومها بالنسبة لمرحلة مابعد التسوية السلمية، أما غالبية الدول العربية فمازالت تعيش مرحلة اللاوعى بالنسبة لمتطلبات هذه المرحلة. فالرؤية أمامهم مازالت ضبابية، والفهم لمتطلبات وآليات هذه المرحلة مازال يتم بأسلوب خطابى، يتأرجح مابين مفهوم السلام التعاقدى والتطبيع، وليس بالأسلوب العلمى الذى يلزم أن يستند على دراسة أهداف الطرف الآخر وإعداد العدة لملاقاته على ضوء تدارس الموقف بالأسلوب الإستراتيجى وليس بالنمط الأكاديمى أو التنظيرى، فالموقف قد أصبح بالفعل قضية سياسية تستوجب الدراسة وإعداد خطة العمل بشأنها بمراحلها القصيرة والمتوسطة والقصيرة. ولعلى لا أزايد بالقول إذا ما أوضحت أن بعض المخططين العرب قد بدأوا يتحدثون عن الأمن الشرق أوسطى فى إطار مرحلة ما بعد التسوية قبل أن يحددوا تصورهم لانعكاسات مرحلة مابعد التسوية السلمية على الأمن العربى كمفهوم أساسى، وهو نهج اراه منقوصا ولاينسجم مع التحليل الإستراتيجى السليم للموقف، فالمحدد الإستراتيجى لأى خطة يلزم أن يكون مرتبطا بهدف محدد، وأنا لا أستطيع أن أحدد بمنطق واع ماذا يقصد المخططون لها، وماهو الهدف الإستراتيجى الذى يحرصون على تحقيقه، ولمصلحة من يتم وضع التصور لمفهوم أمن الشرق الأوسط، وهل يأتى الأمن العربى كجزء من منظومة أمن الشرق الأوسط، وماهى حدود هذه المنطقة وهل تمتد إلى الخليج العربى، أم تتعداها إلى الشرق الأدنى الجديد بالمفهوم الأمريكى والذى يمتد بها حتى الهند وباكستان ... كل ذلك يؤكد مدى تخبط الفكر العربى حول مسألة غاية فى الأهمية والخطورة. هذا... فى الوقت الذى أعد فيها المخطط الإسرائيلى تصور وخطط تحرك واضحة ومحددة لهذه المرحلة

من هنا... كان اهتمامى بسوريا وبالدور السورى، والذى أراه محوريا فى المرحلة المقبلة، فوجود نظام حكم قوى ومستقر فى سوريا، سوف يمكن من تدارس وتقويم الموقف على ضوء الفكر والمعطيات الواضحة والتى أرساها الرئيس حافظ الأسد، وتقوم على معطيات واضحة أساسها أن الأرض لن تضيع مهما طال الزمن، وأن قوة الموقف السورى فى صلابته وليس فى تهافته على أية تسوية، وأن استسلام سوريا لمخطط الاحتواء الإسرائيلى سوف يعنى قبول سوريا بدور هامشى فى ظل سيطرة إقليمية إسرائيلية، وأن المحيط العربى الفاعل هو السبيل الأوحد لتحجيم الدور الإسرائيلى وتحديد الأطماع الإسرائيلية الإقليمية... ومن هنا أيضا كان ومازال تقديرى أن قوة سوريا فى استقرارها، وقوة المنطقة العربية هو فى استقرار سوريا السياسى.

كلمة أخيرة أنهى بها مقالى، وهى أننى أؤكد بكل اعتزاز أنه كانت تربطنى بالزعيم حافظ الأسد علاقة فكرية وشخصية وروحانية قوية وعظيمة، وهو شرف كبير لى، كما أود أن اؤكد أن تقديرى للرئيس حافظ الأسد واقتناعى به كمفكر استراتيجى عربى راقى المستوى ليس حكرا على فكرى شخصيا فحسب، بل يشاركنى فى هذا أعداؤه قبل أصدقائه: فهنرى كيسنجر يعتبره ابرع سياسى وأصعب مفاوض عربى، وجيمس بيكر - مهندس مؤتمر مدريد للسلام - قد أكد أن الرئيس حافظ الأسد قائد استراتيجى وسياسى متميز، أما وارن كريستوفر - والذى تفاوض مع الرئيس الأسد فى أعقاب اعتداء قانا والذى خرج منها الرئيس الأسد بإقرار أمريكى وإسرائيلى بمشروعية وحق المقاومة اللبنانية فى القيام بأعمال عسكرية ضد أهداف غير مدنية وتمثل ذلك فى تفاهم نيسان - فقد وصف الرئيس حافظ الأسد بأنه سياسى مقتدر، ومفاوض لايهزم.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية